الاتحـــاد والنصر والعدوان الثلاثى

إن اتحاد مصر والشام فى العصور الوسطى كان له أكبر الأثر فى صد الهجوم الصليبى على بلاد العرب .. أما الآن فلا أمل فى الإتحاد لأن النعامـــــة غرســت رأســـها فـــى الرمال.. !!

إن التحالف العربى.. العربى .. هو السور الواقى للمنطقة العربية ضد الاحتلال الغربى . هذا هو درس التاريخ . وهذا مافعله القائد صلاح الدين الأيوبى عندما أراد تحرير بيت المقدس من الصليبيين .

ففى عام ١١٧١م أسقط صلاح الدين الخلافة الفاطمية عن مصر ، ووطد أركان الخلافة العباسية . وبعد وفاة نور الدين محمود ١١٧٤م ، اتجه صلاح الدين نحو الشام .. ودخلها فى العام نفسه ، واستطاع صلاح الدين فى فترة وجيزة توحيد بلاد الشام ومصر تحت لوائه فى اشارة واضحة إلى عزمه مناوشة الصليبيين فى مملكة بيت المقدس .

وبالفعل اشتبك بقواته معهم عام ١١٧٧م فى معركة تل الصافيه ، وهزم هزيمة نكراء . ثم عاود الكرة مرة أخرى واشتبك الجيش الأيوبى مع الصليبيين فى بانياس عام ١١٧٩م وحقق الأول فى هذه المعركة انتصارا مبهرا . بعدمعركة بانياس توالت انتصارات الجيش الأيوبى على الصليبيين ، إلى أن أجبر الملك " بلدوين الرابع " على طلب الهدنة عام ١١٨٠م . كما عقد صلاح الدين هدنة أخرى مع ريموند الثالث كونت طرابلس عام ١١٨٥م .

إلا أن " ارناط " (رينودى شاتيون) أمير الكرك إخترق الهدنة وحاول مهاجمة المدينة المنورة ، واحتلال مكة ، مما أعطى السلطان

الأيوبى مبررا قويا لاعلان الحرب على الصليبيين . وكانت معركة حطين الفاصلة عام ١١٨٧م ، وتحرر بيت المقدس بعد ماظل تحت الاحتلال الصليبى قرابة قرن (١٠٩٩-١١٨٧م) ثم تتابعت بعد ذلك انتصارات صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين .

ولم يبق للصليبين من مملكة بيت المقدس سوى صور . ولم يبق لهم من انطاكيه سوى عاصمتها ، وميناء السويدية ، وحصن المرقب ،ولم يبق لهم من إمارة طرابلس سوى العاصمة ، و قلعة انطرطوس ، وحصن الاكراد [1]. ومن قبل كانت قد سقطت إمارة الرها ١١٤٤ م .

إلى هنا شعرت المؤسسة الدينية فى الغرب أن الامارات الصليبية فى الشرق، بدأت تتهاوى مما ينذر بزوال الصليبيين ، وخروجهم من بلاد العرب . فأرسل البابا " جريجورى الثامن " يطلب يد العون من ملكى انجلترا وفرنسا وامبراطور المانيا – وكانت الاستجابة الفورية .. وكان العدوان الثلاثى بتحالف انجلترا " ريتشارد الأول " أو قلب الأسد، وفرنسا " فيليب أغسطس " والمانيا " فردريك باربا روسا " ذو اللحية الحمراء.. لاحظ أن هناك تحالف ثلاثى آخر ضد مصر عام ١٩٥٦ بين انجلترا وفرنسا واسرائيل .

---

(١) على عبدالحليم : مرجع سابق ، ص ١٧٨.

وبدأت حركة الجيوش المتحالفة عام ١١٩٠م بحصار عكا التى سقطت فى شهر يوليو ١١٩١م . وكان سقوط عكا بمثابة الرد الصليبى على انتصار صلاح الدين فى معركة حطين . بعدها عاد ملك فرنسا إلى بلاده ، ومن قبل كان قد غرق الامبراطور الالمانى فى نهر " سالف " من أنهار" كليكيا" بآسيا الصغرى ١٠/٧/١١٩٠م . وتفرق جنوده إلا أن بقاياهم شاركوا فى حصار عكـــــا.

وقد تولى زعامة الصليبيين ملك انجلترا " ريتشارد قلب الأسد " بعدما ارتفع نجمه ، وظهر بمظهر البطل الذى استطاع استرداد عكا .. مما جعله يزحف بجيوش جراره نحو بيت المقدس لاسترداده من صلاح الدين .. وفى الطريق اشتبك معه جيش صلاح الدين ، ووقعت معركة قرب " أرسوف" خسر فيها صلاح الدين . وازدادت شهرة الملك ريتشارد الأول ، وارتفعت معنويات جيشه بعد هذا النصر ، وحاول الصليبيون مرة بعد الأخرى استرداد بيت المقدس إلا أن جيش صلاح الدين ظل فى موقعه يدافع عن القدس ، ولم يستطع ريتشارد قلب الأسد الاستيلاء على بيت المقدس فعقد مع صلاح الدين صلح الرملة فى شهر سبتمبر ١١٩٢ م علىأساس التمسك بحق الصليبيين فى حماية الأماكن المقدسة خاصة كنيسة القيامة مع ضمان حرية الحجيج والعبادة للصليبيين، وكان هذا الصلح نهاية حرب العدوان الثلاثى على الدولة الأيوبية وحاضرتها مصر فى ذلك الوقت .

والنتيجـــة ..

* أن اتحاد مصر والشام فى العصور الوسطى كان له أثر كبير فى صد الهجوم الصليبى على بلاد العرب واسترداد بيت المقدس ، وأن الاستعمار الغربى فيما بعد فى القرن العشرين ، وعى الدرس.. وعمل على عزل مصر عن الدول العربية بصيغة منفردة للسلام ..!!

* أن البلاد العربية تفتقد إلى شخصية القائد الموحد ، الذى يستطيع فرض الوحدة العربية حتى ولو بالقوة وإن كان العنصر الأخير غير متوفر ، وإن توفر تسارع قوى الاستعمار بتدميره؛ مثلما حدث مع محمد على باشا ومع الزعيم جمال عبدالناصر ؛ لتبقى الدول العربية هكذا ، كل يغنى على ليلاه . وتبقى ليلى فى برجها العاجى تأخذ ماتريده .. ولاتعطى إلا ماتريد.. لمن تريد !!!

.

* تم التحالف الثلاثى الغربى ضد بلاد العرب رغبة فى احتلالها ، واستغلال ثرواتها ، وتقسيم أراضيها .. وفى هذا مايثبت أن التحالفات الغربية ضد البلاد العربية ليست وليدة القرن العشرين ومابعده حتى الآن .. وانما ترجع إلى عصر النهضة الأوربية .. وعصور الانحلال العربى التالية ..

وأخيرا ، إن مصر هى قلب العروبة النابض ؛ بدونها تصبح بلاد العرب جسدا بلا قلب .. جثث هامدة لاتستطيع حراكا، حتى لو رصعت أياديها بالذهب ، وكشفت عن أردافها ، ورقصت الرقصة الشرقية الشهيرة على أعتاب دول الاستخراب الغربى .

تأديب مصر والحملة الملعونة

ميـــــدان القتـــال والحـــرب
للفرســان .. وللكهــان القــداس
والمزامير..

وليم كليريك

مصر أم الدنيا .. شعبها أكرم شعب ونيلها أجود نيل .. شبابها خيرة الشباب وجيشها أفضل الجيوش .. وهىمطمع كل طامع ومونل كل حالم وقاهرة كل ظالم .. يحبها الغريب ويرنو لها القريب .. جنوبها مشتى وشمالها مصيف وفى واديها الخير كله .. أرضها من ذهب وأهلها يحبون الطرب ، وهى لمن غلب!! وقد غلبها العرب ، إلا أنها صارت بعد ذلك حامية الحمى ، ومحطمة القوى .. وقد كانت قبل العرب كذلك ، واصبحت بعد العرب أيضا كذلك .. وستظل مصر قاهرة الغزاة طول العمر .

وفى العصور الوسطى فطن الصليبيون لهذه الحقيقة ، بعدما حققت مصر النصر عليهم ، واستردت بيت المقدس ، وهددت وجودهم فى بلاد العرب من هذا المنطلق دعا البابا " أنوسنت الثالث " فى مجلس" اللاتيران " عام ١٢١٥م إلى حملة صليبية تستهدف قلب البلاد العربية أرض الكنانة مصر .. وكان الملك الصليبى " جان دى بريين " ملك بيت المقدس فى عكا "زعيم الحملة ، وأمده البابا بجيش على رأسه الكاردينال "بلاجيوس" مندوب البابا والقائد الأعلى للصليبيين فى حملتهم على مصر.

وبدأ الزحف الصليبى على مصر عام ١٢١٨م ، وتصدى لهذا الزحف الملك العادل الذى توفى فى نفس العام ١٢١٨/٧/٩م . وخلفه بنوه الملك الكامل فى حكم مصر ، والملك المعظم والملك الأشرف فى حكم الشام، وواصل الملك الكامل التصدى للزحف الصليبي، الذى

بات يهدد باسقاط دمياط ، إلا أن وصول الملك المعظم لنجدة أخيه الملك الكامل جعل دمياط تثبت إلى حين أمام هجمات الصليبيين.

وصادف ذلك هجوم جيوش " جنكيز خان " للدولة الخوارزمية فاضطرب الكامل واحس أن حماية الجبهة الشرقية من خطر المغول عمل ضرورى ، فعرض الصلح على الصليبيين ؛ ألا أن " بلاجيوس" مندوب البابا رفض الصلح !! واستطاع بدعم من تجار المدن الايطالية ، وكذا فرسان الداوية والاسبتارية " أن يخرج الأمر من يد الملك " جان دى بريين"[1].

وهاجم الصليبيون معسكر الملك الكامل، ولم يحققوا نصرا ؛ لكنهم ظلوا على حصارهم لدمياط ؛ حتى جاءتهم إمدادات من فرنسا وانجلترا فاستولوا عليها فى نوفمبر ١٢١٩م.

وكان من الأمور المصيرية لحملة الصليبيين على مصر أنها انتظرت فى دمياط لمدة عام كامل لتقسيم الغنائم والاسلاب ، وأيضا فى انتظار الامبراطور الألمانى " فريدريك الثانى " الذى أجل حملته إلى بلاد العرب أكثر من مرة ، وعندما تحركت الجيوش الصليبية

---

(١) رأفت عبدالحميد : قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١٢٨.

أخيرا – بدون فريدريك – صوب القاهرة عام ١٢٢١م وجدت نفسها قبالة قلعة حصينة أطلق عليها فيما بعد اسم المنصورة[١].

ومن هذه المدينة قدم السلطان الكامل عرضه المتكرر لاقرار السلام ، ومؤداه أن يسترد الصليبيون المملكة باستثناء الأردن ، ودفع تعويضات مقابل الجلاء عن مصر . وكانت شروطه كريمة ، ومع ذلك رفضها " بلا جيوس"!! على الرغم من موافقة الملك " جان دى بريين " وفرضت الحرب نفسها .

وتلقى جيش الكامل تعزيزات من سوريا ، قطعت الطريق بين حكومة فصائل الجيش الصليبى المتجه إلى القاهرة ، ومؤخرته فى دمياط ، ووقعت فصائل الجيش الصليبى فى شراك[٢].

وساء موقفهم وتجمدوا عن البراموان ؛ فطلبوا الصلح ، هم هذه المرة خانعين ، طالبين النجاة بأنفسهم فقط ، فأجابهم الملك الكامل إلى ذلك بشرط أن يرسلوا له برهائن من الملوك ، حتى يسلموا دمياط ويجلوا عنها ، ودخلها الملك الكامل فى سبتمبر عام ١٢٢١م[٣].

---

(١) يوشع براور : عالم الصليبيين ، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٦٦.

(٢) يوشع براور : مرجع سابق ، ص ٦٦.

(٣) على عبدالحليم : مرجع سابق ، ص ١٨٦.

وارتحل الصليبيون من دمياط دون قيد أو شرط ، بعد أن أحيط بهم من جانب المصريين ، ومياه النيل ، وأوحال الدلتا، التى غاصوا فيها إلى الركب .. وعاد بعضهم إلى الشام ، عاد الآخرون إلى أوروبا ، يمجدون الرب ، أن أنجاهم من هذه الكارثة التى حلت بهم ، نتيجة صلف أسقفهم " بلاجيوس" الذى سخر منه شاعر معاصر يدعى : " وليم كليريك " قائلا : ميدان القتال والحرب للفرسان .. وللكهان القداس والمزامير[1].

رحل الصليبيون عن مصر ، لكنها ظلت فكرة تراودهم ، وحلما مفزعا يقض مضاجعهم ، فهى التى اسقطت حلم الصليبيين فى الشرق، وهى التى أعادت للعرب هيبتهم ، مما جعل مرجل العالم الغربى يغلى . والكرسى البابوى يزبد ويرغد ... ودعا البابا" هنريوس الثالث " فردريك الثانى " إلى تجهيز حملة صليبية لاستعادة هيبة الصليبيون فىالشرق . لكن الامبراطور الألمانى راوغ البابا وأجل حملته أكثر من مرة ، واعتبر البابا ذلك نكوصا بالوعد ، فأصدر البابا قرارا بحرمان الامبراطور الألمانى من الكنيسة ، كان ذلك فى سبتمبر ١٢٢٧م.

وفى الوقت الذى تشهد فيه البابوية صراعا مع الامبراطورية الألمانية من أجل مصالحها ؛ نجد صراعا آخر بين أبناء الملك العادل أنفسهم ، من أجل مصالحهم أيضا ، ونتج عن هذا الصراع اتجاههم

---

(١) رأفت عبدالحميد : مرجع سابق ، ص ١٢٨.

إلى طلب العون الخارجى ؛ فطلب المعظم معاونة الخوارزميين ، وطلب الكامل معاونة الامبراطور الالمانى " فردريك الثانى " !! وكانت الفرصة الذهبية لهذا الامبراطور المغضوب عليه ، والملعون من الكنيسة، فقبل التحالف مع الكامل ضد أخويه أو ضد الخوارزميين، فىمقابل أن يتنازل الكامل للامبراطور عن بيت المقدس !!!

وحقق الامبراطور الملعون بالدهاء والسياسة مالم يحققه الصليبيون بالحرب والخيانة منذ أن تحررت القدس على يد صلاح الدين .. وتوج فردريك نفسه ملكا على بيت المقدس بعدما أخذه هدية من الملك الكامل (الكريم جدا ..!!) فى إتفاق يافا فبراير ١٢٢٩ .

والنتيجـــة ..

* أن الخلافات والصراعات بين أبناء الملك العادل كانت تصب فى غير صالح البلاد خاصة قضية القدس ، وهى أصل فى الصراع العربى الشرقى .. وهكذا دائما يكون نتيجة الفرقة والاختلاف.

* أن التحالف مع الأجنبى لابد له من مقابل قد يكون كبيرا لدرجة تفقد البلاد حريتها ، وتجعلها تتنازل عن سيادتها وقد يعتبر الحاكم نفسه تابعا.. ويصير مغلوبا على أمره .. ينفذ تعليمات السادة فقط .

* أن مصر ستظل الصخرة التى تتحطم عليها آمال كل مستعمر ، وأن بلاد الشام عمق مصر الاستراتيجى ... وأنه لامفر أمام الدول العربية سوى الوقوف إلى جانب مصر ودعمها ماديا ومعنويا لتظل معهم فى خندق الدفاع عن مصالح ومستقبل الشعوب العربية .